بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

كلية الدراسات العليا

كلية اللغات

Translation of (155-231) Pages from the Book Entitled:

Narrative of Expedition to Dongla and Sennaar

By: George Bethion

Submitted in fulfillment of the requirement of the degree of English language (General Translation)

ترجمة الصفحات (155-231) من كتاب بعنوان :

رواية الحملة العسكرية المتجهة الى دنقلا وسنار

تأليف الكاتب: جورج بثيون

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في الترجمة العامة

Submitted by:

Alniel Albashier Musa Mohammed

Sypervised by:

Dr. Hillary Marino PitiaLaki

2018 A D

بسم الله الرحمن الرحيم

الاستهلال

آيات قرآنية

قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)

صدق الله العظيم

سورة المجادلة الآية (11)

Preface: Quranic verses: Allah the Almighty said:

,(O ye who believe! When ye are told to make room in the assemblies spread out and) make room: (ample) room will Allah provide for you.) (Andwhen ye are told to rise up, rise up Allah will rise up, to (suitable ranks (and degrees), those of you who believe and who have been granted .mystic) Knowledge. And Allah is well-acquainted with all ye do))

Surah: Almugadalah, verses: 11

الإهداء

إلى والديَّ العزيزين، إلى زوجتي وابني

والى أصدقائي وأقاربي حفظ الله الجميع

الشكر والعرفان

الشكر لله تعالى الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم أن وفقني لانجاز هذا الجهد الأكاديمي كما والشكر للمشرف الدكتور/ هيلري مارينو فيتيا لحسن اشرافه وجهده وارشاده على لأجل البحث طيلة فترة اعداده وكذلك الشكر موصول للدكتورة/ أحلام دفع الله على قيامها بتصحيح وتدقيق هذا البحث.

مقدمة (المترجم)

هدفت ترجمة هذا الكتاب لعكس تفاصيل الحملة العسكرية والتى إتجهت إلى دنقلا وسنار ، ومقابلة السودانيين لهذا الامر بمايستحقه إذ مع الإشارة لضخامة هذه الحملة لكونها متجهة للقضاء على اكبر مملكة إسلامية فى السودان (مملكة السلطنه الزرقاء (سنار . الفونج) ولكونها إمتدت من 1504 الى 1821 أى لفترة 317 سنة. إحتوى الكتاب على مرحلتى الحملة إلى دنقلا ثم سنار. إتبع الدارس (المترجم) لنوعية الترجمة الحرة . الأدبية (التحريرية) وكذلك الترجمة الحرفية على نحو محدود . واجهت المترجم بعض الصعوبات تمثلت (على سبيل المثال) فى العبارات والمصطلحات والمصطلحات العسكرية والتى تمكن الدارس من تجاوزها بمساعدة المعاجم اللغوية. وأن هذا الكتاب مكتوب باللغة الانجليزية القديمة التي لم تستعمل الآن. وأن راوي هذا الكتاب وضح تفاصيل الطبيعة الجغرافية والبشرية لمملكة سنار من دنقلا حتى سنار. احتوى هذا الكتاب على تاريخ السودان لأكبر مملكة إسلامية في إفريقيا والعالم العربي والإسلامي.

Translator’s Introduction

The translation of this book aimed at reflecting the details of the military campaign that headed proceeded to DONGLA and SENNAR and to meet Sudanese for this matter as it is worth mentioning the greatness of this campaign because it is destined to eliminate the largest Islamic kingdom in the history of Sudan.The book contains the two phases of the campaign to DONGOL and SENNAR.The translator follow the quality of free translation, literary or editorial as well as literal translation in a limited manner.The translator faced some difficulties, represented in phrases term and idioms which the translator could overcome with the help of the some glossaries and dictionaries. This book was written by old language that is rarely used while another mentioned the nature of the geography and people in Kingdom of Sennaar, his book also contains the history of Sudan as a great kingdom of African and Arab worlds in that period.

الفهرس

الرقم	المحتوى	الصفحة
1	الاستهلال	I
2	الإهداء	II
3	الشكر والعرفان	III
4	مقدمة المترجم (عربية)	IV
5	مقدمة المترجمة (انجليزية)	V
6	رواية الحملة العسكرية المتجهة إلى دنقلا وسنار (عربي)	1-25
7	النص الانجليزي	155-231

رواية الحملة العسكرية المتجهة إلى دنقلا وسنار

البلد الذي نمر به هو جزء من مملكة سنار الواقعة بين النيل الأزرق وبحر ابيض. انه سهل هائل وخصيب تحيط به العديد من القرى الكبيرة من واحة المدينة التي يقدر عدد سكانها بأربعة أو خمسة ألف نسمة وكان البلد الذي رأيناه في هذا الموسم خالياً تماماً من الأعشاب سوي حقول هائلة وكبيرة زرعت في الماضي بالذرة وأشجار الاكاسيا والشجرات في البلدات النائية منها بعيدة من النهر (رملية) ووفيرة ولا يوجد أي شئ يرى، ولم أكن أرى علي طول المسير سوى توقف عجلة المياه *بما قادني للاعتقاد أن الأرض تزرع عندما تغمر بالمياه .

-ويتم بناء المنازل في مملكة سنار على طريقة دائرية من القصب ويقصد بها (القطاطي) ثم يتم تغطية السقف وجوانب المنزل بالقش والطين (ما يعرف محلياً بالزبالة) والذي يقي من ضرر الأمطار وأما منازل الزعماء والأعيان تبنى على الطريقة المدنية المتطورة بالطوب القوي المجفف بالشمس (الطوب البلدي) ترصف فيها السقوف والأسطح مدرجة كما في الأكواخ ويأتي الهواء والضوء عن طريق الباب وأربعة فتحات ضعيفة التهوية مما يجعل المنازل ساخنة جدا وفي مقارنة تشبه بيوت الطوب المغلقة على الطراز المصري أي كأنها غرفة خلع الملابس أو الخروج من الحمام في القاهرة مما يجدر بالإشادة بالعقلية السنارية في بناء المنازل ، وعند نزول الأمطار يتم إغلاق العائلات في البيوت المغلقة ولا يخرج أي شخص إلا للضرورة ويتم تكيفها عبر مسمات يعتمد عليها في تهويتها للبرودة أو الدفء.

- وقبل دخول الجيش إلي سنار بستة أيام التقى الباشا بمبعوث سلطان سنار الذي كانت له حاشية كبيرة وعاد المبعوث إلي سنار مع حاشيته الكبيرة وواصل الجيش تقدمه إلي سنار من بعد

*وعند رجوعي من سنار وعلى الطريق رايت بعض من السواقى التى يعمل بها الفلاحين لزراعة ارض الشواطى بالخضروات

يومين من إبلاغنا من معسكر سنار بان السلطان في طريقه إلي مقابلتنا بقوة ضارية غير مسبوقة ومعه عدد من الفيلة وقطعان الماشية التي تم جمعها للترحيب واستقبال وامتصاص حماس جماعة الباشا ولكن الباشا تراجع واستعد هو وجيشه لترتيب المعركة علي حدا سواء إما للسلام أو الحرب.

-قبل يومين من وصول جيش الباشا لسنار كنت بالقرب من طوبجي باشا وكان في مقدمة جيش المدفعية ورايت عدد كبير من الرجال المدججين بالسلاح على الخيول مصطحبين معهم ملك شندي في صحبة الباشا للمطالبة بشروط السلام مع ضباط جيش سلطان سنار ورايت هذه الشخصيات عند قدومها للباشا كانا رجلين احدهما كبير في السن طويل القامة والأخر هو نفس الشاب الذي أتى قبل بضعة أيام مبعوث للباشا وكانا سمر البشرة ويرتديان الحرير الأخضر والأصفر غالي الثمن مع غطاء يشبه التاج مصنوع من نفس المواد إما الشاب كان رأسه من غير تاج وكان برفقتهما فتى في السادس عشرة من العمر قيل انه من نسل السلطان ومعهم ثلاث خيول طويلة وجميلة وبرفقتهم حوالي مائتي جندي مدججين بالسيوف والرماح والدروع وعندما علم الباشا بقدومهم *من قبل ملك شندي اخذ هدنة وأرسل لإقناعهم بقوته والتفوق الهائل لأسلحته عليهم .

في مساء اليوم التالي أطلق جيش الباشا الصواريخ والقنابل النجمية المضيئة إظهاراً للقوة ولا يمكن لأي لغة أن تصف ذلك المشهد ولا شك أدى ذلك إلي التأثير الذي يقصده الباشا ليشعرهم بالتواضع والدونية ، وفي ساعة مبكرة من الصباح تابع الجيش مسيرته برفقة سفراء سنار وفي الظهيرة أعلنت الاستخبارات للباشا أن سلطان سنار جاء بنفسه ومعه جيش بمرتبة الشرف

*دعا اسماعيل باشا كل من ملك شندي والحلفايا ان يصطحباه الى سنار ولكن ملك الحلفايا اعتتزر لانه كان كبير في السن ولكنه ارسل ابنه الاكبر الى الباشا ليتحرك معه الى سنار وانها صفقة سياسية للباشا على ان تكون سلطة مقاطعة شندي والحلفايا تحت سيطرته بلا مخاطرة ولاعصيان وزلك تامنين لحملته وخضوع الناس فى تلك المقاطعة تحت حكمه ويعتبر ملك شندي المك نمر انه رجل مبجل وموقر ومحبوب بين اهله ويبلغ من العمر خمس وستون عاما واكثر احتراما واخلاقا

للترحيب به بتحية عسكرية حيث بقى في الانتظار لفترة طويلة وكانت الشخصيات التي أرسلها من قبل للباشا بشكل باهي ورائع من الأزياء والخيول معدة ومسرجة بالعرائس ومطرزة بالذهب .[*]

في صبيحة اليوم التالي وصل الجيش إلي عاصمة سنار وسار في ترتيب المعركة وكان يرافق الباشا سلطان سنار ومعه رئيس الخدم وعند الاقتراب من المدينة أحبط الجيش من الوقوف الذي طال انتظاره لفترة من الزمن مع الحركات المتواصلة من المدافع والموسيقي المصحوبة بصراخ الاستفزاز ولكنها قلت عند قدومهم إلى المدينة ، مع أن مدينة سنار مدينة قوية إلا أنها فقيرة تحتوي في بعض الأحيان علي مئات من المنازل الصالحة للسكن لكن معظمها مهجورة تماما وأكوام من أنقاض الخريف وبعد أن وصلت للمعسكر خرجت للتنفس مع القليل من الطعام وأخذت امشي حول المدينة وفي كل خطوه أجد شظايا من الطوب المحروق وأجزاء من الخزف وأحيانا من الرخام ومن ابرز المباني في سنار المسجد وقصر كبير من الطوب والمسجد يضم نوافذ جيدة مغطاة بالمشابك البرونزية المطوعة والأبواب المنحوتة بشكل رائع من أنامل مبتكرة لصور الحيوانات علي الجدران بالفحم وقد حصل التدنيس من الوثنين متسلقي الجبال التي تبعد مسيرة ثلاثة عشر يوما جنوب سنار ولم يمضي وقت طويل على وضعية هذه الرموز على جدران المسجد ، إما عن مبنى القصر فقد كان في حالة خراب باستثناء المبني المركزي الذي يتكون من ستة طوابق عالية بها خمس صفوف من النوافذ[**]التي تطل علي أفضل مناظر المدينة والنهر والطبيعة المحيطة بالمكان وانأ احكم أن سنار في اغلب الأحوال ثلاثة أميال في الجزء الأكبر منها إلا أنها مغطى بأنقاض المنازل التي سقطت بالإمطار المبنية

[*]وكان مبعوث سلطان سنار شاب صغير في العمر يبلغ ستة وعشرون عاما من ام زنجية واخرج من السجن وكان مقاتلا منذ ثمانية عشرة عاما واخرج من السجن قبل مجيى هذه الحملة وقاتل فى معارك اى مذابح مع مجموعة وكان يطمح ان يجلس على كرسي مملكة سنار وكان من س سلف السلطان يدعغى بادى ابو شلوخ

[**]اخبرني السكان ان هذا المكان بنى قبل الثمانى عشر عاما الماضية وبنى قبل قيام الاشجار المتراصة حوله وفهمت منهم ان المكان دمر بين حروب مختلفة بين المتنافسين والمتصارعين للجلوس على كرسي العرش منذ ثمانى عشر عاما الماضية

من الطوب المحروق المعرض لأشعة الشمس ولا اعتقد أن أكثر من أربعمائة منزل موجودة في سنار وثلث المباني المستديرة وتلك التي في القرى قد بنت بالطوب ، وقصر السلطان عبارة عن حاوية كبيرة مغلقة ذات نسق منخفض لكنها مبنية بشكل جيد من الطوب المجفف مع الأسقف المدرجة من الجص الجميل بالداخل ومما أدهشني قوة صناعة أبواب المنازل القديمة في سنار التي تتكون من ألواح مدهشة ومنسقة ومزينة في كثير من الأحيان بنحوت مرصعة وفريدة من سكان سنار الحاليين وهذه المنازل نادرا ما تكون أكثر من طابق واحد في الارتفاع والأسقف المدرجة مع الحصير والعوارض الخشبية التي تشكل السقف وأن مدينة سنار تأخذ شكلا مستطيلا وهو الجانب الأطول في الاتجاه الاخر للنهر وأنها تقف على مسافة من النهر لكنها على الضفة الغربيةمباشرة وتتكون من الطين والصلصال* ولكن في هذه الحالة يرتفع النهر ويظهر بشكل ضيق ومتعرج بقدر ما يمكن أن يرى للعين بين السهول الرملية التي تغطي بزيادة المياه ويمكن فهم مرقد النيل مقابل مدينة سنار على مسافة نصف ميل تقريبا ، وطبيعة سنار أنها محاطة بسهول واسعة وقرى كبيرة مأهولة بالسكان وجبل علي بعد خمسة عشر ميلا وهو الشئ الوحيد المرئي من الناحية الغربية للمدينة ، وأدنى المدينة توجد جزيرة صغيرة وجميلة ومخضرة وسكانها يجلبون الخضروات إلي سوق سنار ، والضفة الأخرى من النهر بها مناطق خضراء متقطعة**ويبدو أن المنطقة على الضفة الأخرى يغطي معظمها بالأشجار والشجيرات

*قبل وصول الجيش الى سنار يبدا النهر في الفيضان فى موسم الامطار وقبل هذا اليوم نلاحظ تغيير فى مياه النيل وان مياهه تكون صافية وجلية وبعد الفيضان تتخللها الطين والطمي

**ويوجد بسنار ثلاث اسواق وان بالمسافرين يجدون المؤن ولكن عمد الباشا لتامين حركة التجارةوكل الباعة في سوق سنار يستقبلون البضائع الى تاتى لبعض الايام واثناء اقامتى في سنار ارى لحوم الابل والضان والاغنام وبعض الاسماك وزراعة الخضر كالملوخية والعجور والباميا والفواكه كاليمون والخضر التى تاتى م القاهرة كالبقوليات بانوعها والذرة والدخن والتباكو ويزرعون الصمغ العربى والسكان يستخدمون فى الطبخ اوراق الزنجبيل والثوم وكميات عظيمة من الاعشاب توجد في سنار وايضا سكان سنار يزرعون القطن طويل التيلة لصناعة الملابس فى سنار واضافة لذلك فان سكان المعسكر يشترون منه التباكو والقهوة والبن والارز والملابس والاحذية وغيرها وكل الاسعار اغلى من القاهرة وبعض اجزاء الاسواق للاتراك وانشاو فيه المقاهى والاغريق الذين اصطحبو الجيش اسسوا اسواق الاطعمة والاماكن التى تستقبل اي شخص لمايحتاجة من شراء اي شي اكل او شراب او استماع اخبار اليوم

التي رأيت بينها أربعة أفيال تتغذي عليها ولم أتمكن من العثور على أي بقايا من أي مبني قديم في سنار أثناء إقامتي فيها وأعتقد أنه لا يوجد هنالك سوى المنظر الحالي للمدينة التي من الواضح أنها كانت غنية ومزدهرة منذ الثمانية عشر عام الماضية ، كما أخبرت أنها كانت فريسة للحرب والخيانة .

وفي اليوم التالي لوصولنا لسنار تم عقد معاهدة بين الباشا وسلطان سنار مكتوبة معروفة بالنسبة لهللحكم الفدرالي بتبعيته لسلطة محمد علي باشا وخضوعه لسيادته وهيمنة لنائب الشاه محمد علي باشا.

وفي اليوم التالي حمل الحكمدار أغا الذي وصل لمعسكرنا قبل شهرين الوثائق والمعاهدة للقاهرة لنائب الملك محمد علي باشا في مصر وقبل وصولنا بعدة أيام إلي المعسكر الذي كان مزعجا بسبب العواصف والرياح المصحوبة بالرعد والبرق والسيول والأمطار ولذلك قرر الباشا أن يبقى الجنود في داخل المنازل خلال موسم الأمطار وبعد عشرة أيام من وصولنا تم توزيع الجيش على جميع أنحاء مدينة سناروالقرى المجاورة في الضفة الأخرى للنهر وأما الباشا فقد مكث في قصر سلطان سنار الذي تم إعداده لإقامته فيه وبعد أيام قليلة تم إبلاغنا من قبل أحد العبيد أن سلطان سنار قد ألقى في النهر بعض الأسلحة منها أربعة مدافع حديدية وقد تم اكتشافها من قبل الغواصين وتم سحبها وقد بدأ لي أنها أسلحة عادية للسفن وأنها إشاعة ملفقة وظهر أن سلطان سنار قد استخدمها في حروب قديمة ضد البرتقال والاحباش.

وفي التاسع عشر من شهر رمضان أمر الباشا بأعادةالقرويين ومائة من العبيد السود لسلطان سنار الذين هربوا قبل دخولنا ومعهم أفضل الخيول وفي الثالث والعشرين عادوا ومعهم ما بين خمسمائة وستمائة من الزنوج من الجنسين ولكن ملك شاوس حضر للباشا وهو يؤكد أن هولا الأشخاص ليس هم الهاربين المعنيين وأمر الباشابإطلاق سراحهم وعودتهم إلى قراهم وفي

الوقت نفسه أرسل الباشا كوجا عشمات ومعه ثلاثمائة من الفرسان وثلاثة قطع من المدفعية إلى المنطقة العليا لسنار بين بحر أبيض والنيل الأزرق لتأمين مهمته .

وفي السادس والعشرين من الشهر القمريأرسل ضيفان أفندي معه ثلاثمائة رجل عبر النيل لتأمين ذلك الجزء من سنار الواقع على الجانب الشرقي من النيل *وبعد سبعة أيام من وصولنا إلى سنار فكرت في تنفيذ قرار عودتي إلى القاهرة بسبب حالتي الصحيةمما اضطرني إلى تحديد طلب وإذن من الباشا للعودة إلى القاهرة وبعد ما أوضحت له أن جميع المهام الحاسمة للحملة الآن اختتمت بدقة وبأكبر قدر من النجاح وبالتالي لا يمكن أن تكون لي حاجة لفترة أطول خاصة وقد ذكرت له مرضي المتكرر الذي أصابني أثناء الحملة مما جعل صحتي متدهورة تماما وأن الإقامة لمدة أربعة أشهر في سنار أثناء فصل الخريف غير محتملة وتمنع وصولي للقاهرة على الأقل قد لا تكون هنالك طرق للعودة في فصل الخريف وطلبت منه الإذن بعد انتهاء موسم الأمطار فأخذ يفكر في ذلك وأن أطيع اومره وتردد لعدة أيام ولكنه امتثل لاستدعاء الباشا والأسباب التي ذكرتها كانت كافية لمنحي الإذن لعودتي فقد أخبرني بتميزي أخيرا وانه عند عودة كوجا عشمات يجب عليه إرسال مرافق لي إلي القاهرة

وفي اليوم الثالث من عيد رأس السنة الهجرية رأيت سلطان سنار في موكب عسكري بمراسم متعاظمة في المدينة على حصان رائع ويرتدي ملابس من الحرير الأخضر والأصفر ورأسه بدون قبعة ومعه ضباط يحملون مظلة كبيرة من الحرير بدون شارات عسكرية وقد رافقهم أقارب السلطان وحرسه وبعض السكان الأصليين من سنار رجالا ونساء يصرخون بأصوات عالية والبوق الذي سبق السلطان كانت النغمات التي يخرجها يبدو كأنها تعاني من القحة .

*وعندما نفكر ونرى الجنود بملابسهم يشترون ويبيعون ويرتبون للشراء والاستمتاع باللحم وحصتهم من الذرة وإنهم لم يستقبلوا أي شراء أو بيع مدة ثمانية أشهر وكانوا يسيرون على الأقدام في المنطقة والسماء تحجب السحب لأطول فترة وأفكر في سماع أصوات الرعد وظل الباعة يحبذون أجود أنواع الشراء بالنقود المصرية.

وفي اليوم السابع من شهر شوال القمري عاد ضيفان أفندي إلى سنار واحبط كل محاولات معارضيه وأثبت سلطة الباشا في الجزء الشرقي من مملكة سنار وجلب معه ثلاثة من الزعماء المعارضين وثلاثمائة وخمسين من المساجين والعبيد وأحداث هذه الحملة تتمثل فيما يبدو لي كما يلي :

لقد سرنا لمدة ثمانية أيام دون أي مقاومة باتجاه الشرقوسط بلدة جميلة وخصبةبها قرى مزدحمة سكانياًحيث وصلنا إلى قرى كبيرة بالقرب من جبل كاتا وتفاجأنا بنحو أربعمائة أو خمسمائة من المحاربين الذين أرسلوا لاعتراض مسيرتنا ورغماً عن كونهم مسلحين بالأسلحة البيضاء إلا أنهم هربوا نحو الجبل حيث استخدمناقوتنا النارية وتم تطويق مائتي منهم وأدخل زعمائهم السجن ولكن معظم السكان الأصليين في القرى وجدناهم في قراهم التي عدنا منها وعند ما طلب منا إذا ما كانت المياه متوفرة على مسافة من النهر أجابني المخبر أن هنالك آبارا متوفرة في قربعديدةفي المنطقة وتذخر بها الجداول والخيران والتي تنحدر في هذا الموسم من الجبال ويتفرع منها نهران صغيران (من المحتمل إنهما الدندر والرهد) وأضاف أن البلاد تكثر فيها الطيور الجميلة والزواحف وواحدة من الأخيرة التي ذكرت جلبها معه زاحفة صغيرة مغطاة بلون قرمزي جميل يشبه بالتأكيد القطيفة المخملية ذات اللون القرمزي وأن سكان هذه المنطقة وصفوها بأنها غير مؤذية ولادعي للقلق لمعرفة أن ما تم جلبه لسنار لن يسبب مشاكل لنا ، واثنان من الزعماء أخذوا إلى السجن بأمر من الباشاوذلك بعد تطويقهم في سوق سنار وقد واجهوا معاناة الموت القاسي بصلابة أحدهم لم يقل شيئا أما الأخر فقد نطق الشهادة مكررة (لا اله إلا الله محمد رسول الله)وقد وصفهم ما يدعى عبدا لله أثناء تعذيبه من الجنود تحداهم

ولعنهم مكررا لهم بأنهم لصوص وقتلة وحين ضعف صوته بصق عليهم [*]وقد احتجز الزعيم الثالث لحين ضدور أمر إرساله للقاهرة .

وأثناء إقامتي في سنار سعيت للحصول على معلومات من الناس في تلك البلدة وبعض من قوافل التجارة في سوق سنار التي تتواجد فيما بين النيل الأبيض والنيل الأزرق . والمعلومات هي : أن سكان سنار يدعون أن النهر الذي يجري في مدينتهم مصدره جبل القمرة (وهسلسلة كبيرة من الجبال تسمى جبال القمر) حوالي مسيرة ستين يوما بالجمال من سنار في اتجاه الجنوبويلتقي النهرعلي مسافات مختلفة فوق سنار بالعديد من الأنهار الصغيرة التي تأتي من الحبشة ومن الجبال التي تقع جنوب سنار .

والطابع العام لبحر أبيض (قالوا) انه مواز وقريب من المدخل ولكن اعتقادي أنمنبعه أبعد بكثير من جبل القمرة ومدخلبحر أبيض يظهر كبيرا جدا في المكان الذي عبره جيش الباشا لأنه يزيد بالتقاء ثلاثة انهار أخرى واحد من الجنوب الغربي ونهرانآخران من الشرق ينحدران من الجبال جنوب سنار وعندما سألتهم عما إذا كانت طبيعة بحر أبيض منبسطة وخالية من الشلالات والمنحدرات [*]قالوا إن هذا المكان يسمى السلوكة يبعد حوالي مسيرة خمسين يوما اتجاه نقطة الالتقاء مع المدخل (في النقطة العليا التي عبرناهافي بحر أبيض) وكان هنالك شلال عميق يعيق عبور القوارب وكنت أسأل نفسي عن طبيعة ضفاف نهر بحر أبيض والنهر الخاوي من جهة الغرب والذي كان من المستحيل الوصول إلى المدينة التي تسمى تمبتو أو تمبكتو ؟

[*]ومناسبة هذه الحملة الآتي: بعد دخول جيش الباشا إلى سنار بدأت المعاهدة ما بين الباشا وسلطان سنار وأن الاتفاقية تحتوي أن تكون المملكة تابعة لهيمنة الشاه محمد علي باشا وأن يكون زعماء المناطق الجبلية الجنوبية والجنوبية الغربية لسنار العاصمة خالية من المعارضين وأرسل الباشا القائد كوجيا عشمات مع ثلاثمائة من المدفعية للمناطق العليا لسنار ليأتي بالرجال المعارضين في هذا الموسم ومعهم ثلاثة من الصواريخ وأخذهم معه.

[*]وعمد على ترتيب محادثة بين أهالي المنطقة العليا لسنار وأخذ الرجل في هذا الموسم ومعه عدد من الزعماء في سوق سنار الذين رتبوا لعمل معارض للسلطان ودعاهم السلطان على ألا يكون جبان ولا خائن والاستسلام في هذا البلد. وعليهم أن يضعوا أيديهم لمجابهة هذه الحملة العسكرية التي يقودها ضيفان أفندي.

قالوا انهم لا يعرفون شيئا عن المدينة التي ذكرت وأنها في أقصى غرب كردفان ودارفور. وكان هذا كل الذي استطيعت معرفته،ولكنني أؤمن بان المنبع الرئيسي لبحر أبيض لا يمكن أن يكون مصدره في خط العرض نفسه لان ارتفاعه يبلغ علي الأقل في العام حوالي عشرين يوما من المصب هو يثبت الألوان المختلفة لمياهه لأن يتدفق في تربة مختلفة عن تلك التي يمر بها من المصب والسؤال المثير للإهتمام ما هي طبيعة مساهمة النيجر في بحر أبيضوعلى كل حال من المحتمل أن يرسل الباشا بعثة استكشافية لهذا النهر قبل نهاية السنة أو السنة القادمة .

ثانيا إني أيضا اعتقد أن الرافد الرئيسي لمجرى النيل أو النيل بروس لا يأخذ ارتفاعه في الحبشة ولكن يأخذ ارتفاعه في الجبال إشارة إلى أن الأماكن لسكان سنار الأصليين وللمعاينة لكتلة المياه التي تمر بسنار وحتى الآن فان النهر لم يبلغ ثلثي الحجم المعتاد الذي يكتسبه خلال موسم الأمطار وانأ لا استطيع بأي حال من الأحوال أن اعتقد أن المصدر الرئيسي لهذا النهر على بعد مسافة ثلاثمائة ميل من سنار. وان هذه الرقعة من البلاد ما بين النيل الأبيض والمصب تسمى بالجزيرة لأنه في موسم الأمطار يجري عدد من الأنهار التي تنبع من الجبال وتصب في الجهة الجنوبية لبحر أبيض مما أدى إلى هذه الرقعة التي تضم الأنهار . واني اعتقد جازما أن ما يشكل مناخ هذه البلدة المبالغ فيه عدا ما يدور أثناء موسم الأمطار وبعده مباشرةأن البلد أرض عالية وجافة* ودرجات حرارة فائقة لأن مستوى البلاد مرتفع عند النيل أكثر من مصر مما أدي إلى ارتفاع سنار مئات الأقدام أعلى من مستوى مصر ويبرهن ذلك النزول السريع لمياه النيل نحو مصر ، والرياح الجنوبية الشرقية أيضا في سنار رياح باردة لأنها تأتي من جبال الحبشة أو من سلسلة عالية وضخمة من الجبال تشكل جبل القمرة وأنا في منتصف

*وعند ابتداء فصل الخريف في سنار ونسبة لأنواع التربة المختلفة ومسالك المياه تأتي من كل الاتجاهات والسحب سوداء بها شحنات كهربائية تستمر لمدة اثنتي عشرة إلى خمسة عشرة ساعة والرعد والبرق بدون فواصل والسيل الجارف وأن السماء خالية من الغيوم والضباب لمدة ثلاثة أو أربعة أيام.

الصيف في سنارلم أجد درجة الحرارة في أي وقت من الاوقات غير مريحة ودفعت بنقسي في الهواء الطلق وتحت ظلال المنازل والأكواخ التي تحتاج للتهوية لان الحرارة فائقة.

وأثناء إقامتي في سنار *استفسرت من الذبابة التي ذكرها بروس وقال أهالي سنار إنهم لا يعرفون عنها شيئا وردا على استفساراتي أشاروا إلى أن حشرة تخرج من الأرض خلال موسم الأمطار لديها لدغة خطرة وأنواع الزواحف في سنار متعددة والمنازل مليئة بالسحالي وفي الليل تشعر بدبيبها على الأرض وقد رأيت نوعا من أنواع الثعابين في سنار وأعتقد أنه لم يسبق ذكرها كان طولها حوالي قدمين وليس أكثر سمكا من الإبهام ظهرها وبطنها مخططة وملونة وكان لهذا الثعبان أربعة أرجل ولكن لا يبدو أي استخدام لهذه الأرجل وأنها قصيرة معلقة من جانبي بطنه وكل حركاته سريعة على طريقة الثعابين المألوفة .**

وأنا ليس بجدير لأبدي رائي***في الشخصيات القومية للسكان الأصلين لمملكة سنار وانأ مضطر لاحترام السكان الرئيسيين لأنه شعب مقيت وجشع وابتزازي وقساة وغدار والرجال عموما طويلي القامة وذوي شكل جيد وأما الإناث فمعظمهن في الشكل العام قبيحات لم أرى مثيل لهن وعلى الأرجح إنهن يقمن بجميع الأعمال الشاقة ،أما أطفال هولاء الناس من قبائل أعالي النيل عندما يقتربون من سن الرشد البنت غير المتزوجة تلبس نوعا من الملابس المصنوعة من الجلود قصيرة تتألف من مئزر وحزام من الجلد يربط به الوسط أي الخصر وهذه كل ملابسها وهي تدل

*عندما أدركت وأنا في طريقي وجدت بين أمتعتي حشرة لم أجدها وأنها اختفت في حصير القش في المنزل ومعي مستر كونتينانت أنه رجل ممتاز اصطحب مستر كليود وأرسلوا في هذا الزمن وإني لم أر أي شكل من أشكال هذه الحيوانات منذ رجوعي إلى القاهرة سوى واحدة من الحيوانات التي لم أرها إلا في مصر القديمة.
ومن المحتمل ربما لا توجد أي ذبابة في أي جزء من مملكة سنار أو في أي مكان منها.
**أحب أن أعرف أكثر والاستمرار في هذا العمل وخاصة في حق الباشا وخاصة مجرد إظهاره عدد من الخيان للإنسانية في المنطقة الأدنى لسنار وواحدة من الطرق المهمة التي أصبحت تحت الخضوع والإذعان لسلطة الباشا وبالقوة وهذا الرعب والقوة العسكرية تعتبر من المحاولات المستمرة والأحداث الدامية والسياسية والعسكرية لعدم ظهور العصيان المسلح كي تكون المنطقة تحت سيطرته.
***أخبروني بأسماء الأنهار أن أضع أوراقي وألاحظ أسماء بعض الملوك في هذا البلد أن رحلتي في سنار ومن خلال فهمي أن أهالي سنار يعتقدون أن القوارب لا تمر على الشلال الثالث وأن رأيهم أن عدداً من الشلالات عند السلوكة لم تكن.

علي ميلاد أمنا حواء أما المتزوجات فعلى العموم ملابسهن قطنية خشنة طويلة تغطيهن كلهن إلا في حالة العمل فتكون الملابس حول الخصر فقط .

أما بالنسبة لمصنوعات أعالي النيل فهي على ما أعتقد محدودة مثل صناعة السكاكين والمعاول وفن الخزف والمحاريث للزراعة والسواقي وسروج الخيول التي تصنع على الشاكلة الأروبية التي تصنع من الفضة خاصة للزعماء وليس على الشكل التركي الذي يصنع من السلاسل الحديدية الصغيرة التي تحمي من ضربات العدو أما كل السيوف فهي حادة وطويلة ولديها شفرتان للحراس مصنوعة من الفضة ورؤوس الرماح والدروع من جلد الفيل وما يضاف إلى ذلك أن النساء تصنع حصير القش بصورة جميلة *ويوجد تشابه عام في العادات والتقاليد المحلية بين جميع الشعوب التي تسكن حدود النيل من أسوان حتى سنار ولكن تختلف إلي حد ما في البشرة والشخصية أما شعب السكوت ليس أسود جدا كما النوبي أو الدنقلاوي لكنهم صريحين وجذابين في سلوكهم ، الدنقلاويون حادي الطبع وخاملون وشرسون كما الشخصية الشايقية إلا أنها تختلف أنها غير خاملة سواء كانوا فلاحين كادحين إما الشعب في الشلال الثالث ليسوا كادحين جدا ولكنهم صادقين وملتزمين أما شعب بربر أكثر مدنية من كل شعوب أعالي النيل وسكان مقاطعات شندي والحلفايا عابسي الوجه ومتجهمين وماكرين ،في حين أن الفلاحين في سنار يسكنون القرى التي عثرنا عليها في طريقنا وهم شعب محترم بالمقارنة مع سكان العاصمة وتوجد سمات تشابه عامة في الشخصية كما في الشخصية الهندية الأمريكية من حيث الشجاعة والاحترام .

*وأن أهالي سنار يصطادون ويأكلون أي شيء ما عدا الثعابين والقطط والفئران ويبيعون الخنزير البري السمين لعمل مأدبة أي وليمة وسمعت في الجزء الأدنى للمنطقة أن أهالي سنار قد يأكلون الخنزير لكن أرفض جازماً وأعتقد أن الأهالي يدعون أنفسهم مسلمين ولكن بعد وصولي إلى سنار وأنا ملزم بهذا وأن الخنزير يقطن في الأشجار الجلبية بالقرب من الحبشة وفي قصر ملك سنار توجد دستة من الحيوانات الأليفة المقدور عليها.

وبعد مجئ الزعماء للباشا وتحيته وجلوسهم أمامه يخاطبونه دون حرج بالطريقة التي اعتادوا عليها مع ملوكهم وبطريقة مألوفة تشوبها البساطة الواضحة في كثير من الأسئلة المزعجة للباشا مثل اوه شيخ كبير أو الملك العظيم (ما أطلق على الباشا) ما الذي أتى بك إلى بلدنا من مكان بعيد للحرب ضدنا ؟ أم لحاجتكم للطعام من بلدنا أو ما شابهها .

وفي اليوم الرابع عشر من شهر شوال القمري عاد كوجا عشمات إلى سنار وجلب معه ألفين من المساجين والعبيد ومعظمهم من النساء والأطفال وكانت أحداث حملته على النحو التالي :

سار لمدة عشرة أيام في الاتجاه الجنوبي الغربي لسنار العاصمة دون مقاومة من سكان المنطقة حتى وصل إلى جبال بوكي التي يسكنها الوثنيون وأتباع الرئيس الذي رفض رسالة الباشا التي أرسلها إليه في الجبل والتي كانت في ظروف صعبة ولكن تم اقتحام موقعهم بعد صراع مستميت ووجدوا أن الرماح والسيوف تستخدم ببراعة وشجاعة القلوب والأيادي غير قادرة على مقاومة الأسلحة النارية لذلك فروا إلى جبل آخر وهجموا مرة أخرى بالمدافع والفرسان واضطروا إلي الهروب لموقع ثالث وقد حوصروا من قبل سلاح فرسان كوجا عشمات وحوالي خمسمائة منهم وضعوا السيوف وهربوا إلى جبل كراجي الحصينة التي لا يمكن الوصول إليها من قبل الفرسان وأعرب كوجا اعتقاده عن أنه قدم دليلا قويا على أن المقاومة لم تكن بالصورة المطلوبة وأن القوات عانت من هطول الأمطار المستمرة التي جرفت جميع القرى والسكان الذين عادوا إلى سنار اضطروا إلى عبور كثير من الجوالخيران العميقة في موسم الأمطار ولجأوا الى الجبال وغيرها، الحصين والإنسان قد أنهكا تماما قبل الوصول إلى سنار ، وأن شعب بوكي في سباق صعب لتسلق الجبال العالية وهم شجعان وطويلوا القامة ووسيمون ذوي بشرة سوداء وهم من الوثنيين عباد الشمس وهم نفسهم السجناء الذين جلبهم كوجا عشمات ويشبهون في ملابسهم

الأمريكان المتوحشين وكانت ملابسهم مغطاة تقريبا بالخرز والأساور والحلي المصنوعة من الجص والعظام والعاج وأسلحتهم تتألف من الخوذات الواقية من الحديد ومعاطف جلدية مغطاة بألواح من الحديد طويلة جيدة الطراز وسلاح يدوي يشبه السلاح الذي كان يستخدم في انجلترا من قبل وقد شابهوا لي المقاتلين الأشاوس من الأتراك ، مع أنهم لم يروا الأسلحة النارية من قبل لكن قد صدواجيش الباشا وقاوموهببسالة وشجاعة وكما بلغني أنهم قالوا أن المفرقعات سلاح جبان وحامله يقف على مأمن من العدو ويقتل بغدر.

وفي اليوم السابع عشر* بعث بحامل رسالة إلى القاهرة لتوضيح نتائج الحملة ثم أبحرنا إلى أن وصلنا إلي كانجيا عند منحدر النهر وبعيدا من بربر ومضينا قدما إلى مصر عبر الصحراء وتم الاتفاق مع الباشا إذا رافقتهسوف نصل إلى نصر الدين في بربر في خمسة أيام وليالومعنا ستة عشر من المراكبية الذين اتجهوا إلي النهر بسرعة فائقة وتوجهنا إلى القرى النائية من النهر غير المأهولة بالسكان وموحشة ورأينا في الليل أعدادا كبيرة من فرس النهر ترفع رؤوسها من الماء على مسافة لأبأس بها من كانجا وفي بعض الأحيان نطلق عليها النار ولكن دون تأثير وتوقفنا خلال ساعة من الليل في شندي للمغادرة وأصدر الباشا أوامر إلى سرية صغيرة من الجيش التركي في نهر النيل في نقطة الالتقاء وتقدم في مشهد رائع بين الحلفايا وشندي والتي عندها يضيق النهر ويكون عميقا وتتشكل الشلالات من التلال الصخرية العالية والممرات الجبلية التي يمتد فيها نهر النيل إلى الظلام والانحدار والسرعة حوالي خمسة عشر ميلا ويمر النهر ويمتد النهر مرة أخرى بصورة مهيبة في السهول المخضرة ويحده في الأفق من

*وأن جبال بوكي تمتد في رقعة من الأرض في مملكة سنار في منطقة فازوغلي جنوب سنار مسيرة اثنان وعشرون يوماً وجبال فازوغلي التي توجد فيها القطع الذهبية التي تأتي مع السيول من الجبال أثناء موسم الأمطار وسكان المنطقة أخبروا اسماعيل باشا برؤية الذهب الذي يوجد في تلك الجبال وأنها ثروة كبيرة وبعض المعادن الأخرى وأن الذهب في هذه البلدة مهم بالنسبة لاسماعيل باشا وأن المساجين أخذوا إلى جبال فازوغلي وأتوا بكميات من الذهب والحلي ورأيت الجنود وأن الباشا حضر بنفسه إلى جبال فازوغي في موسم الخريف من أجل الذهب الذي يأتي عبر السيول وأن هذه الطريقة سوف تتيح له ايجاد ثروة.

الضفة الأخرى حوالي ثلاثة عشر ميلا فوق بربر وعند مرورهم بمدخل النهر (من الاتجاه الشرقي) وهو آخر نهر يصب في نهر النيل وقد قدربحوالي ثلثي ميل تحت نقطة الالتقاء مع هذا النهر وأكثر من ميلين من الضفة الأخرى في هذا الموسم .

وأثناءاليومينالأولينمنرحلتناكانسقوطالأمطارغزيراجداولكنبعدمرورنابإقليمسنارکانتالسماءصافيهخاليةمن

السحبوعندماوصلنا إلىنصرالدينلمنتمكنمنالحصولعليجمالكافيهفيالحالوأرسلاثنانمنمرشديالقافلةوقضواخمسةأيامقبلتحرك القافلةإليمصر.

وفياليومالثامنوالعشرينمنشهرشوالغادرتالقافلة ملك الرباطاب الملك نصرالدينالذي كان لديه احترام بين أهله وكانت فيطريقهاإليمصر بقيادة أمباشيمنجيشإسماعيلباشامتوجهاًإلى مصرمعاثنينوعشرينمنالفرسانوالجمالوالعبيدالذينيتبعونالـأمباشيوأربعةمنالخيولالجميلةالتيتنتميإليالباشاوبدأنافيالمسيرحواليثلاثساعاتقبلالظهيرةوبعدمسيرةثلاثساعاتتوقفناعندقريةتسميشرفيللحصولعليمؤنللخيول والإبلتمكنهامنعبورالصحراءوأنالطريقيقعخارجالقربوعلىحدودالصحراءوالقريةمتعددةومبنيةبشكلجيدمنالطوبالمجففبأشعةالشمسووجهالبلد عليجانبالنهرالمستويتماماوبقينافيقريةشرفيحتىصباحاليومالتاليولميتمكنقائد القافلةفيهذاالمكانمن الحصول علىزرهللأبقاروتحركوانحوقريةصغيرةتسميهساعليبعدساعةمنشرفيوبقينافيهاحتىصباحاليومالتالي .

وفياليومالثلاثينمنالشهرالقمريوفيوضحالنهارامتطينا الجمالوتحركنا علىالطريقالمترامياالاطراف علىطولالصحراءوتتابعمرورنا الطويلعلىالقربالمبنيةبصورةجيدةوالمأهولةبالسكانوالممتدةحواليميلامنالنهر وكانالطقسهادئاوباردامنذوصولنا إليبربروتوقفنا عندمنتصفالنهارفيقريةتدعىالعبيديه وقبلغروبالشمستقدمنامرةأخربإلىا لإمامممسيرةثلاثساعاتونصفوتوقفتالقافلةأثناءالليلفيقريةصغيرةتخربهوكانا

لسببوراءتوقفنا المتكررا عطاء القافلة فرصها حتياطيمنا لمؤنلعبورالصحراءوقدفعلذلكفيأيقريةولكنبظهورهذها

لصفقةبدا الهلعوالخوفوحبالمالمماكانلهالتأثيرالسلبي علينا ولميعطىقائد

القافلةذرهحيثكانمضطرالجعلالتبادلمشجعا للطرف

الأخروسرنافينهارا ليوما لأولمنشهرذيالحجةحتىساعتين بعدشروقالشمسوعندماتوقفنافيبعضا لقريفيقريةتسم

يقنتيوالمكانالذيمررنابهمنذيومأمسهوالصحراءالتيتقعبالقربمنضفةنهرالنيلوتوجدبها

قليلمنا لأماكنالتيتصلحللزراعةولقدتمإبلاغناأنمعسكرمحمدبكفيطريقهمنمصر معخمسةألفرجلمن أجل

الاستيلاءعلىإقليمكردفانودارفورفيالجانب

الاخرمنالنهروكانالطقسهادئاوليسحاراوقدمكثنافيقنتيحتىمنتصفالظهيرةوعندماشرعنافيرحلتناخلالالصحرا

ءوالبلدالكئيبالذييخلومنالسكانوالزراعةوالصحراءتمتدهناحتىالنهروعادةتتكونمنا لأحجارالصخريةوالجرانيـ

تا لأسودولا

ترىأيزراعةأوخضرهفيالصحراءإلاعلىشاطئالنهرومنتلكالناحيةتعترضمجراهاالصخوروالمنحدراتوبهعددمن

الجزرالجميلةوالأراضيالخصبةجداوالمكتظةبالسكانوتسمىهذهالمنطقةأيالبلدبالرباطابوبهاالملكمحمدالصـ

ديقوبهاعددثمانيةوثمانينجزيرةكبيرهوخصبهمحاذيةشاطئالنهروانملكهايتمتعبشخصيةعاليةمنالشجاعةوا

لكرموالأخلاقوانهيسكنفيجزيرةمقراتالعظيمةوالتيتبلغعليحسبقوله

حواليستينميلا* ووقفنافيهاحواليثلاثساعاتقبلمنتصفالليلعلىضفةالنهرمعسماعصوتالشلالالمنتظمعندالنهرـ

استثناءمرورىبسيطعليا لاتجاهالشرقيللنهروبعدارحنا الإبللمدةساعةونصفولنريحأنفسنابأخذقدرمنالطعاموـ

اءالنيلالكدروبعدذلكبدأتمسيرتنادونتوقفحتىساعةمنظهيرةإليوما لتاليخلالالصحراءمنأجلقطعأكبرقدرمنالمـ

سافةمنالصحراءوالنهروعندماتوقفناتحتبعضأشجارالبلحالجميلةعلىضفةنهرالنيلونظرنا إليواحدةمنالجزرا

*وعندما كنت في منزل في سنار رأيت أنا وخليل أغا الذي كان يصطحبني في الحملة في هذا البلد النظر إلى الثعبان وهو يتفاجأ ويتعجب (يا الله هذا الثعبان له عنق وأرجل) وقفز إلى أعلى وأخذ عصاه لقتله وقام بحركة مفاجئة في اتجاه واحد والقيام أيضاً بركة مفاجئة في اتجاه آخر.

كبيرةالمخضرةالتيتدعىتنقاسيفيجزيرةصغيرةواستمتعنا مع خليل اغا واصطحبنيواخبرنيعندماعرجإليالشلالالثالثأنالأهراماتأكثرحداثةمنغيرهافيالبلدانوربماجزيرةكانديسيالتيتأخذاسمهاالشهيرمنكانديسفيعهدنيروالتيهزمتالجحافلالرومانيةوهذاالهرمربمايكونقبرهاتحتظلأشجارالتمرعلى ضفةالنهرالأخربلهذه الجزيرة وكالمعتاد نأخذ استراحة لتناول الخبز والماء من قرية صغيرة من شأنهم أن يعطونا اللحوم لا المال ولا الصابون والمادة الأخيرة أيضا تقف متعاظمة دون وعي لحاجتها .

وفي اليوم الثالث من شهر ذي الحجة بعد الظهرغادرنا جزيرة كانديس على مسافة ساعتين سيراً وبعد منتصف الليل واصلنا تقدمنا في طريقنا في الصحراء المترامية ولكنها ليس بعيده من ضفة النهر وتبلغ حوالي ثلاث ساعات بعد الظهر وفي الصباح جئنا إلي قرية صغيرة تدعي أبو هشيم وتقع على ضفة النهر قبالة جزيرة بهيجة مخضرة تسر النفس والنظر في مياه نهر النيل على الشلال الثالث وأخبرني خليل أغا أن الشلال يحتوي على سلسلة ممتدة من الخضرة على هذا القبيل ولم أتمكن من الحصول على أي شئ كالمعتاد من طحين الخبز والماء باستثناء بعض البلح وكانت عيني في هذا اليوم ملتهبة جدا نسبة لانعكاس أشعة الشمس على الرمال وهى أكثر إيلاما وتعاملت مع المسألة وأقمت في هذا المكان بضع ساعات بعد منتصف يوم أمس وغادرنا إلي الأمام مرة أخري في البلد نفسه يوم أمس إلا أننا رأينا عددا من الجبال الصخرية أي الحجرية في الصحراء وبعض منها على مسافة لأبأس منها للنهر وبها أطلال من القرى المهجورة واسترحنا فيها يوماً كما استرحنا من قبل في منطقة الشلال الثالث وعثرنا فيها علي طوب محروق حسن التصميم جاء به الفلاحون من أحد الجبال وأن البلد الذي مررنا عليه قبل أربعة أيام لا توجد به أراضي زراعية سوي التي توجد علي شاطئ النهر عوضا عن هذا الجزء الاجدب في الجزر التي تقع في الجزء من النهر وهي ذات نطاق واسع وجميلة ومملوءة

بالاعشاب وفي كل يوم عندما نصل إلي النهر نتوقف لأخذ استراحة ونجد أكثر من مشهد وفي آخر المحطة كنت محظوظا بشراء حمل صغير بمبلغ اثني عشر قرشا لا اللحوم التي لدينا نفدت منذ أربعة أيام وفي الليل استخدمت ضمادة من البلح لعيني لأن عيني كانت ملتهبة من مسيرة هذا اليوم ولكن وجدت بعض الراحة حتى العلاج واستأنفنا مسيرتنا حوالي ثلاث ساعات بعد منتصف الليل وسرنا حتى ساعة قبل ظهراليوم .

وفي اليوم الخامس من شهر ذي الحجةعزمنا أن نصل إلي المكان الذي يوصلنا إلي طريق النهر وننغمس في الصحراء الشرقية أي الكبرى من أفريقيا ولكن كان الطقس غير مناسب وحار والإبل مرهقه وقمنا بأخذ استراحة علي ضفة النهر وقبل وصولنا بفترة قصيرة مات أثنان من إبل القافلة و القافلة لا تزال في طريقها خلال السهول الرملية والتلال الحجرية والتي تمتد حتى شاطئ النهر وكالمعتاد إن النهر تتقدمه سلسلة من الجزر الجميلة ولكن بعد موت اثنين من إبل القافلة صار مرشد القافلة قلق ومكثنا في هذا المكان حتى منتصف اليوم الثاني وخلال إقامتنا وقبل الدخول في الصحراء وجدت رجلا للسباحة إلى الجزيرة بالأتجاه الاخر للنهر لشراء بعض المؤن من دقيق الذرة والبلح ولكن لم نتمكن من الحصول إلا على بعض البلح فقط لذلك كنت مضطرا لتوفيق أوضاعي نسبة لخطورة الدخول في الصحراء بمؤن قليلة ومكثت في بربر خمسة عشر يوما لترتيب مؤن لضمان مرورنا لاثنتي عشر يوما في الصحراء للوصول إلى القرى التي تقع على ضفة النهر ومسيرة أربعة أيام حتى أسوان وأن التأخير غير المتوقع لمسيرتنا من بربر قضينا عشرة أيام في الصحراء .

وفي اليوم السابع من الشهر القمري حوالي ساعتين قبل غروب الشمس وقفنا بعد مسيرة ساعة من النهر وفجأة ظهر لنا أن النهر يتجه إلى الاتجاه الجنوبي الغربي وفي هذا المكان

*قال لنا دليل القافلة علينا بملء قرب الماء عند خروجنا من النهر إلى الصحراء وبقينا في هذا المكان حتى ظهيرة اليوم الثامن من الشهر القمري ولم نتمكن من النوم طيلة الليلتين الأخيرتين إلا وأيدينا علي قلوبنا حيث قيل لنا يوجد بعض اللصوص الذين يسطون علي القوافل ويعملون علي نهبها ولكن لم يعتدوا علينا حتى حدود مابين الصحراء والنيل ، وتكثر في هذه المنطقة أشجار الدوم التي تسكنها أعداد كبيرة من القرود وأيضا أشجار الفاكهة التي تتغذى عليها وتؤمن بها غذائها وتضعها في كوخ كبير وثمر اشجار الدوم تغطيه بقشرة بنية أشبة بخبز الزنجبيل المحروق فمن الصعب القدرة على أن يعض أو يأكل الدوم سوي القرود أو عرب المنطقة وبعد مسيرة ساعة من موقعنا وصلنا إلى معسكر البدو أي فريق وضريح ماربوت أي قبره ويتكدس البدو حول القبر بالإبل المسرجة والقصد منه أخذ البركة وهي عبارة عن طقوس، وفي حوالي أربعة ساعات بعد ظهيرة اليوم الثامن تقدمنا نحو النيل واتجهنا إلي الصحراء وحملنا كمية من الماء وحملت أنا بنفسي ومعي خليل أغا والخادم الخاص أربعة قرب مصنوعة من الجلد مليئة بالماء وسرنا حني قبل ساعة من منتصف الليل وتوقفنا لمدة ساعة لأخذ استراحة وتناول بعض من الخبز والماء وان أحد خيول الباشا أرهقت وأبت مواصلة السير ولذلك كان من الضروري الانتظار لتأخذ الحيوانات راحتها لتتمكن من المواصلة في السير واستلقينا علي الرمال ونام ركب القافلة بعمق لمدة ساعتين وكانوا في راحة كافية للاستمرار في الرحلة حتى حوالي ساعتين قبل الظهر وعندما توقفنا عند سهل رملي عليه رزاز وبه بعض الشجيرات الصغيرة التي توفر الغذاء لإبل القافلة وماوئ لأنفسنا من أشعة الشمس ولقد دفعنا بأنفسنا تحت الجذور والأشواك لأخذ الحماية بقدر ما يمكن من أشعة الشمس العمودية ولكن النوم في هذه الحالة مستحيل لمدة نصف من الساعة والشمس تتقدم إلي الوضع العمودي وتغير الظل اضطررنا إلى تغيير موقعنا

*وهذا النوع من الخنزير يوجد في مملكة سنار وهو صغير وأسود ولا يوجد في الجزء من مملكة سنار التي تدعى الجزيرة.

لننوم لان أشعة الشمس تتسبب في الحمي الدماغية ، وعبرنا هذه البلدة في اليوم الأول من رحلتنا من خلال سهل مستو من الرمال والحصى مع جبال الجرانيت الأسود ولا تسمع أو ترى سوى اندفاع الرياح وأصواتها وكان الطقس باردا ولكنه أكثر برودة في الليل وتقدمنا مرة أخرى في وقت الظهيرة وتوقفنا كيوم أمس للاستراحة لمدة ساعة أو ساعتين من منتصف الليل واسترحنا مرة لمدة ساعة ونصف وبدا لنا ظهور الصحراء كما كان من قبل حتى منتصف الليل بين السهول والممرات الجبلية المظلمة والمتعرجة بين جبال الجرانيت الأسود ومررنا بواحدة من السلاسل الجبلية ووجدنا جماعتين وقال لنا دليل القافلة إننا بالقرب من أباشي وبعد وصلنا إلى مكان يحتوي على شجيرات توقفت القافلة لأخذ المياه العذبة التي توجد في بئر في عمق الجبال مسافة ساعة من مكاننا وأن البئر تقع في عمق منحدر يقودك إلى نهاية أحد الجبال التي توجد بها كمية كبيرة من المياه الحلوة التي أودعتها الأمطار في هذا البلد التي تتعامد عليها شمس الصيف ، *وأثناء اليوميين الماضيين سافرت بألم شديد من انعكاس الشمس على الرمال ، والرياح السائدة في هذا الموسم من الصحراء التي أصابت حبيباتها عيني بالرغم من الاحتياطات اللازمة وحمايتها إلى حد كبير وحماية كافية من أشعة الشمس خلال هذه الفترة ولكن تفاقم المرض إلي حد كبير في هذه الفترة واشتد المرض وبقينا بالقرب من البئر حتى مغرب الشمس واستأنفنا مسيرتنا حوالي ثلاث ساعات من شروق الشمس وفي صبيحة اليوم العاشر مررنا بصخور وسهل رملي حيث أمر قائد القافلة بالوقوف وقمنا بتوزيع أنفسنا علي

*وأن جبال بوكي تمتد في رقعة من الأرض في مملكة سنار في منطقة فازوغلي جنوب سنار مسيرة اثنان وعشرون يوماً وجبال فازوغلي التي توجد فيها القطع الذهبية التي تأتي مع السيول من الجبال أثناء موسم الأمطار وسكان المنطقة أخبروا اسماعيل باشا برؤية الذهب الذي يوجد في تلك الجبال وأنها ثروة كبيرة وبعض المعادن الأخرى وأن الذهب في هذه البلدة مهم بالنسبة لاسماعيل باشا وأن المساجين أخذوا إلى جبال فازوغلي وأتوا بكميات من الذهب والحلي ورأيت الجنود وأن الباشا حضر بنفسه إلى جبال فازوغي في موسم الخريف من أجل الذهب الذي يأتي عبر السيول وأن هذه الطريقة سوف تتيح له ايجاد ثروة.

الصخر لأخذ الراحة [*]ومن ثم إحتمينا أنا وخليل أغا من الشمس بالسجاد المدعوم بالشمل والذي تم تثبيته من الزوايا بالحجارة وربط بالشالات لمنع زنابير الهواء وبقينا حتى منتصف الظهيرة من أجل الوصول إلي جزيرة مقرات في اقرب وقت ممكن من أجل تزويد ركب القافلة والمرضى المسافرين عبر الصحراء [**]ولقد عبرنا مستوى مقدر من مساحة القطعة الحجرية الصخرية حوالي ساعتين بعد منتصف الليل وعند وصولنا إلي بئر تقع في واد بين سلسلة جبلين من الجرانيت الأسود ومياهها عذبة نوعا ما ولا يشربها المسافرون إلا عندما تنفد مياههم في القرب الجلدية وكانوا بالقرب من سكان قريتين عربيتين [***]واسمهما أبو هشيم ودوليب وجلبوا المياه لجمال القافلـة وبعد وصولنا إليهم في الصباح وجدناهم فقراء لكنهم محترمين وملتزمين وظل بعضهم يقدم لنا حليب الإبل والقليل من وسائل التغذية الأخرى ومع ذلك فهي مستقلة وبعيدة عن الهيمنة والطغيان والاضطهاد الذي يصيب معظم بلدان الشرق التي على الصخور القريبة من البئر ورأينا الطبيعة القحة تتمثل في الثيران والخيول والجمال التي تعبر الجرانيت في هيئـة صخور بالقرب من أسوان على الاتجاه الجنوبي من الشلال وأخبرنا مرشد القافلة أن مثل هذه القطع من الصخور موجودة في العديد من الجبال التي توجد في الصحراء وخلال إقامتنا في مقرات شب خلاف عنيف بين بعض العرب في القافلة حول بعض الأموال التي سرقت من واحد منهم والرجل الذي يشتبه أنه سرق سعى ليبرئ نفسه أن يؤدي اليمين بشدة ولكن كل الظروف كانت ضده وأنه السارق وإذا لم يعد هذه الأموال حتى وصولنا إلي أسوان فانه يعاقب ولكنني أردت أن أتحدث إلي متتبع الأثر حول هذه المسالة ليتخذ التدابير اللأزمة لكشف هذا الأمر ومعاقبة اللص

[*]وفي بعض من الليل مررنا بآثار بالية وأدركنا أن القارب الذي يحمل المرشد قد لا يتأخر لحمل الركب وهذه الفرصة لرؤية الأمطار عند مصب النيل برس ومدخل بحر أبيض بالقرب من البحيرات لكن كتلة مياه النهر لم تختلط مياهه مع أي نهر وأن مياهه تلتقي عند المصب وتكون سوداء أثناء موسم الفيضان.ويلتقي لعدة أميال مع بحر أبيض وأن اللون الأبيض لبحر أبيض جميل وأكثر بياضاً وأن مياهه تندر عند نقطة الالتقاء وأن بحر أبيض في الغالب طريقه مسدود في منطقة الجزيرة بالأحجار. ومن المحتمل أن التيارات في المصدر غير قوية ولحسن الحظ أن التيارات في المصب قوية وعند مدخل بحر أبيض القريب من البحيرات.

[**]ومنذ رجوعي إلى القاهرة تعلمت أن بعض الحروب الدموية قد تتيح لنا ضم إقليم دارفور وكردفان فيما بعد.

[***]والمقاطعة التي توجد في منطقة الشلال الثالث التي تدعى مناطق الشايقية وبربر والمناصير والرباطاب.

ونتيجة للتهديد والوعيد في الصباح التالي تمت استعادة الأموال سرا وأودعت بين الأمتعة التي سرقت منها .

وفي اليوم الثالث عشر وعند غروب الشمس نزلنا في منطقة مقرات بعد مسيرة متعرجة لمدة خمس ساعات وصلنا إلى واد واسع تحيط به الجبال العالية وتكثر فيه أشجار الدوم وأول مكان رأيناه بعد نزولنا إل النهر مكان يدعي واحة المدينة وبها قرية عربية دعم سكانها القافلة بالماعز التي لديهم وتزويدها بالماء لأن القرية تمتلك عددا منها وصلنا أحواض المياه المليئة بمياه الأمطار وقد استرحنا بها بقية الليلتحت أشجار الدوم وفي الصباح استمتعنا بكل ما يوجد من مياه نقية في المدينة والتي كانت ممتعة بشكل خاص لي بعد أن اضطررت للشرب منها لعدة أيام أما المياه العكرة التي جلبناها من النهر فأصبحت ساخنة من أشعة الشمس وبها رائحة كريهة مثيرة للاشمئزاز بسبب الجلد الجديد لخزانات المياه (القرب)وقد اشتريت هنا ماعزا كبيرة وبعض الحليب لعمل وليمة بعد أن جوعنا لعدة أيام وصمنا على الخبز السيئ لكنه لذيذ بالنسبة لنا وبقينا هنا للماء وراحة للإبل حتى ظهيرة اليوم الثاني وبعد وصولنا للنهر بدأت مسيرتنا نحو النهر الذي يبعد مسافة ثلاثة أيام من المدينة وأثناء إقامتنا في المدينة أصيب رفيقي خليل أغا بمرض الإسهال والاستفراغ وسبب المرض المياه التي جلبت لنا من مقرات وقد أتيحت له عناية لأيام مستمرة حتى لا يضرر من الآثار الوخيمة للمرض .

وفي ظهيرة اليوم الخامس عشر اتجه مسيرنا نحو النهر وكنا قريبين من الصحراء وفي اليومين الأولين مررنا بسهل رملي وجبال الجرانيت بعد أن تركنا النهر وشرعنا في المسير حوالي ثلاث ساعات بعد منتصف الليل ووقفنا لأخذ استراحة واستمرت رحلتنا مرة أخرى حتى ساعتين قبل الظهر وتوقفنا في صخرة كان بها بعض الثقوب كنا نستظل بها من الشمس وتناولنا وجبة شهية من خبز الذرة الخشنة الذي يطهى على روث الإبل وفي منتصف فترة الظهيرة كنا في

طريق متعرج قادنا إلى وديان عميقة في ثلاثة جبال من الأحجار الجيرية التي تشير إلى قربنا من النهر وعلى تلال الرمال العميقة حيث تيار الرياح الذي يأتي من مختلف الاتجاهات الذي شكل تلك الوديان ومنذ أن غادرنا مقرات وحتى وصولنا تلك الجبال أصبحت تلال الجرانيت قليلة وأحجار جيرية أخرى ظهرت بصورة متصاعدة ، *وليس لدي أدنى شك أن عمق الصحراء منخفض من مرقد النهر (مستوى النهر) وخلال مسيرتنا بالتلال المختلفة خارت قوى الإبل وكذلك عبدي الأسود لذا اخذوا راحة وبعد أربعة ساعات من شروق الشمس وصلنا إلى واد كانت به بعض الأعشاب الصحراوية المتقطعة وقد سمحنا للإبل بالأكل بعد حرمانها من الأكل منذ أن غادرنا المدينة وما كان علينا إلا أن ننظر بين الأحجار لماوئ من أشعة الشمس وكل واحد منا يرتب لنفسه الأحسن من ماوئ ومأكل من خبز الذرة وشرب الماء الساخن والنوم بقدر المستطاع وخلال الليلة الماضية التقينا مع قافلة قادمة من أسوان وأجبرناها علي بيع بعض الأكل وطلبنا منهم بعض التمور والدقيق لصنع الخبز ولكن لم نجد لديهم أي شئ من ذلك القبيل وبقينا في الصخرة حتى منتصف فترة ما بعد الظهيرة وعند الاستيقاظ من النوم لاحظت اثنين من العرب الذين معنا في القافلة يعملون بهمة حول مرشد القافلة وشاركوه في قص شعره وانتهت هذه العملية بدهنه بقارورة من الشحم السائل على رأسه وسألت عن معنى هذه العملية في هذا الوقت وقالوا لي يجب أن يكون في النهر صباح غدا وانه كان يزين نفسه لرؤية وتحية أصحابه عند وصول القافلة إلي مصر وأنه راض بقص شعره لكي يظهر بمظهر جميل ولائق وبمجرد الانتهاء من تزيين مرشد القافلة ركب على الإبل وأخذ موقعه في القافلة وقد سرنا الليل كله دون توقف والذي كان ضروريا ولكن الماء كاد أن ينفد تقريبا ولكن الكارثة ألكبرى عدد من رجال قافلتنا

*وكانت هذه الفترة والشمس عمودية والهواء جاف في الصحراء وأن درجة حرارة المياه بلغت النسبة المئوية وقبل دخولنا الصحراء بالقافلة وكان معنا عدد مختلف من المشاة بالرجوع إلى مصر وأن زعيم القافلة كان يوقظ كل واحد منا بالسوط.**ويلاحظ أن الرجال تحمل في قلبها بعدم الرجوع إلى الخلف ودون أن يؤثر فيهم العطش حتى الوصول إلى النهر وأن الجند لاحظوا تأثير تلك الأحداث عليهم.

صاروا هزيلين رافقونا علي طول الطريق سيرا على الإقدام مع القليل من الطعام ومياه الشرب وفي الوقت الحاضر استنفدت طاقتهم من التعب والجوع والعطش وبين الحين والآخر يرمي كل واحد منهم نفسه على الرمال أي الأرض من اليأس وفقدان الأمل في الحياة وكان النهر منهم على مسافة ساعة أصبحوا في أقل قوة تدفعهم للنهوض والمثابرة للوصول إلى النهر [*]ولكن استخدم سوط طويل وجلدوا لجعلهم يستيقظون وينهضون لطلب الماء ولحسن الحظ أن المياه كانت قريبة لنا لنأخذها ونحن كنا أكثر خوفا على رأس كل دقيقة أن إبلنا سوف تسقط من العطش والأمر الذي ساعدنا وجعل لنا كل قطرة ماء تمثل لنا الحياة ولسوء الحظ أن أحد الفتيان الذين انضموا إلي القافلة قبل دخولها الصحراء هرب من المعاناة التي عشناها في المناطق العليا والتي كانت بالنسبة لي مثيرة للشفقة وانقسمنا معه إلي قسمين وكنت اشرب كل جفنه ماء بسم الله حامي المسافر أي نصير المسافر وفي هذه الليلة كان الشاب مرهقا وغير قادر حتى على حمل نفسه ولحسن الحظ لم نفقد فيه الأمل [**]وحوالي ساعتين قبل راحتنا وصلنا إلى واد عميق بين الجبال والتلال الصخرية وسرنا فيه لمدة ست ساعات وعرجنا إلى الأسفل وغطينا بقطع من الصخور المحيطةبه والتي يبدو أنها أزيلت بواسطة تيارات قوية من الماء وفاجأتني هذه الظاهرة عند مدخل هذا الوادي وكان من الواضح أن الإزاحة بفعل هذه التيارات لم تكن موجودة قبل هذا وعند هذا الوادي الذي ينتهي في النهر أصبحت الهضبة واضحة ووجدنا قناة من المياه قديمة تودي من النهر إلي هذا الوادي واندفاع التيار يأتي خلال موسم فيضان النهر وقد أزالت وقطعت أجزاء من الجبال المتأخمة .

[*]وفي نهاية الوقت رأيت عدداً من الجنود أخذ جزء من الجفنة المائية ويقبل خفه أو قدميه وتسيل دموعه بغزارة وقال مرشد القافلة هذه رحمة الله التي أوصلتنا إلى النهر.

[**]وفي الاتجاه مباشرة لسيوة على ضفة النهر جلسنا على مصر القديمة على بعد أربعة أيام مشياً بالإبل أعلى أسوان.

وفي اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة حوالي ساعتين قبل الظهر خرجنا من الوادي علي شاطئ النيل الجيل المبارك الذي يمثل القلب النابض والحياة والدم لكل شمال شرق أفريقيا وكنت في غاية مشاعر الأمتنان لله رب العالمين أن أجد نفسي تحت التمر وعلي الماء البارد لأغسل ورم والتهاب عيني الذي تطور بصورة كبيرة نتيجة الأرق والتعب وأشعة الشمس الحارة والحاجة للنوم *وبعد وصولنا إلي قرية صغيرة من سيوه التي تقع على القناة المؤدية إلى الوادي الذي ذكر آنفا توجهت أنا وخليل أغا لأهالي القرية ليذهبوا معنا إلي النهر ووبحثنا عن الشاب الذي غادر الركب وقلت يمكن لأي احد أن يصل إليه في المكان الذي اختفى فيه في ساعتين وناشدتهم لإنقاذ حياته وإحساسهم بالإنسانية والواجب تجاه الله والإنسان وأشركناهم معنا بحثا عنه ولحفظ حياته وأنهم عثروا على أصم وتوسلت إليه بالمال وبندقية خليل أغا القديمة لإنقاذه وإيصاله النهر وناشدت إنسانيتهم بإثارة الطمع ولكن دون أي تأثير **وقلت لهم أن المسيحيين في هذه الحالة الإنسانية أكثر عطفا ولن يرسلوا واحدا من الرجال بل أربعين إذا لزم الأمر لإنقاذ حياة مخلوق من الموت القاسي و مجاعة الصحراء ورب السماء يطلب أن كان انقاذ حياة هذا الشاب في أيديهم إذا أهملوا إنقاذه فلهم العقاب من السماء ووعدني شيخ القرية أن يرسل ركبا إلى المكان في صبيحة يوم غد وأنه وعد معقول ومحتمل ومرض لي وألومه إذا لم يفي بوعده

*وأسباب الشفقة بعض الكلمات التي تعلمتها أعتقد أن الطفل قد مات وأنه لم ينج بعد ولكن تمت إعادته.

**وبعد ثلاثة أيام من وصولنا إلى أسوان أن أخبار وصلت بموت طفل في الصحراء النوبية في طريقه إلى أسوان ووجد على مسافة ستة وثلاثون ساعة بعد الوصول إلى سيوة لكن الغالب يموت ويتوقف للتقدم لساعات قليلة وأن النهر ليس ببعيد ولا توجد خطورة وأن النهر ليس على بعد مسافات بعيدة وأجد نفسي ضعيفاً وبقوة عظيمة وأبحث عن الخيران لطلب الماء للمشاة لجلب المياه لهم من النهر وأن أحد من الرجال أخبرني أن رحمة الله ورسوله وأن المسافرين حفروا مقابرهم بأيديهم لولا رحمة الله لو لا وصولنا إلى النهر وأصبحنا نعاقب بالسوط لا بالمال وكنت سعيد بوجود المسلمين الين قرأوا لنا القرآن وبه الرحمة وأن الصحراء كانت تحتل أكبر حيز في هذه المنطقة.

وفي اليوم الثاني وضعت أقدامي على النيل وتركت قرية سيبو وقلبي ملئ بالحماس وهذا قضاء الله وشرعنا في السير على متن قارب من دنقلا واتجهنا إلى مصر وفي غضون ثلاثة أيام وصلنا إلى أسوان .